العراقيـــــــون..وصناعـــــــة الأزمـــــــات

تحليـــــــل سيكوبولتـــــــك

www.arabpsynet.com/Documents/DocQassimPsyPoAnalysis.pdf

أ.د. قاســـــم حسيـــــن صالـــــح *

العـــــــراق

qassimsalihy@yahoo.com

تنفرد حياة العراقيين عن باقي الشعوب بأنها كانت في العقود الثلاثة الأخيرة أشبه بأرجوحة تتأرجح بين:أزمة..انفراج،أزمة ..انفراج...نجم عنها تقلّب في المزاج وعدم استقرار نفسي.والأزمة،بحسب قاموس وبستر،فترة حرجة وحالة غير مستقرة تخلق التوتر في نفوس الناس،وتمثل تهديدا لصانع القرار وارهاقا وجهدا نفسيا لتأثيرها السلبي على القدرات والمهارات الذهنية.والمشكلة ليست في حدوث الأزمة بل في كيفية ادارتها.والمهتم بعلم النفس السياسي يرى أن الأزمات الحادة التي انفرد بها العراق صاغت العقل السياسي العراقي بطريقة برمجت عملياته المعرفية على تصلّب وجمود فكري يفتقر الى المرونة والقدرة على ايجاد البدائل،فضلا عن أنها عملت سيكولوجيا على زيادة ارتباط القائد السياسي بجماعته وزيادة ميله لأستعمال القوة ضد الآخر.

وهنالك اكثر من قضية داخلية في الازمة السياسية العراقية: الشراكة الحكومية، النفط والغاز، المادة 140 من الدستور، اتفاقية اربيل، الفساد المالي والاداري، مثلث العلاقة بين حكومات العراق وتركيا والاقليم، المناصب الحكومية الشاغرة،وأخيرا أزمة التعامل مع تظاهرات الانبار ونينوى وسامراء...المطالبة بحقوق مشروعة والملغومة بقوى تريد الشرّ للعراق.

وهنالك عوامل خارجية صانعة للأزمة أو تذكيها تتمثل في المحاور الاقليمية.فالعلاقة متأزمة بين العراق وتركيا،ثم قطر، فضلا عن ثلاثة ملفات خطيرة مع ايران: الحقول النفطية المشتركة «مجنون، ابو غرب، الفكه، بزركان، نفط خانه» وترسيم الحدود، وشحّة المياه بتحويل معظم روافد دجلة الى أراضيها،والخراب الأسود في سوريا..وما حدث على الحدود الغربية من حرب بين ثلاثة جيوش! بداية آذار 2013.

تنفرد حياة العراقيين عن باقي الشعوب بأنها كانت في العقود الثلاثة الأخيرة أشبه بأرجوحة تتأرجح بين:أزمة..انفراج،أزمة ..انفراج...نجم عنها تقلّب في المزاج وعدم استقرار نفسي

والمهتم بعلم النفس السياسي يرى أن الأزمات الحادة التي انفرد بها العراق صاغت العقل السياسي العراقي بطريقة برمجت عملياته المعرفية على تصلّب وجمود فكري يفتقر الى المرونة والقدرة على ايجاد البدائل

وما يجعل الأزمات مستعصية، عدم وجود آليات لحلّها. فمجلس الوزراء يفتقر الى نظام داخلي واضح يحدد أداء السلطة التنفيذية، ويضبط عمل الحكومة. والتقاطعات والتضاربات في الصلاحيات داخل الحكومة ذاتها، وبينها والبرلمان، تعدّ احد اهم اسباب عدم التوافقات. ووجود مواد في الدستور يصفها قانونيون بأنها «حمّالة اوجه»، بينها منح رئيس الوزراء صلاحيات في غياب قوانين تضبط تلك الصلاحيات وأخرى كبيرة تمكّنه من الانفراد بالسلطة، فضلا عن وجود اتجاه يدعو الى تركيز السلطة في الحكومة الاتحادية، وآخر يدعو الى منح المحافظات والاقاليم استقلالية تعطي صلاحيات واسعة لحكومات المحافظات.

ان هذا الكّم المعقد من القضايا الشائكة والمتشابكة يفضي الى ثلاث حقائق سيكولوجية: خلق تشوش فكري لدى متخذ القرار يضطره الى التركيز فقط على القضايا التي فيها خطر عليه، وتعميق روح الشك في الآخر بين الفرقاء في بارانويا سياسية، وتقوية الانتماءات والولاءات للأحزاب والعشائر ودول خارجية على حساب الانتماء للمواطنة والولاء للوطن.

هذه الحقائق السيكولوجية لا ينفرد بها السياسيون العراقيون، بل تنطبق على الطبيعة البشرية. بمعنى ان أي سياسي في واقع فوضى فكرية وسياسية كهذه سيعيش الخبرة ذاتها، والاختلاف يكون في طريقة التعامل معها.

وللأسف فأن سيكولوجيا الازمة تحكّمت بالسياسيين العراقيين أكثر من قدرتهم على التحكّم بها، ولك ان ترى كيف فعل دافع الانفعال بهم الى اطلاق التصريحات المتناقضة عبر وسائل الاعلام، وتركيزهم على مسائل الخلاف،واستخدامهم آلية «الاسقاط» بتنزيه النفس والتمتع بالنوايا الصادقة، وتحميل الطرف الآخر كلّ الخطايا، والخطابات المتضادة بين وطنية مخلصة وطائفية تحريضية،مع انهم جميعا شركاء في صنع ما حصل للناس من فواجع وما حصل للوطن من خراب.وهذا يفضي، بحتمية سيكولوجية اخرى، الى ان التفكير يعتاد على استحضار الخلافات بما يزيد المسافة التفاهمية بعدا،وبرمجة العقل على آلية «العناد العصابي» بالاصرار على البقاء بالمواقف، فيما يتطلب حلّ الازمة مرونة التحرّك التي لم تحصل مع انها أخذت اكثر من وقتها، لأن السياسي من هذا النوع لا يتزحزح عن مواقفه الا حين يتهدده خطر يطيحه، فيما السياسيون العراقيون أمنوه..فالشعب جرّب حظه في تظاهرات شباط واستكان، والظهر مسنود الى أكبر قوة في العالم،ما جعل الرئاسات الثلاث

ان هذا الكّم المعقد من القضايا الشائكة والمتشابكة يفضي الى ثلاث حقائق سيكولوجية: خلق تشوش فكري لدى متخذ القرار يضطره الى التركيز فقط على القضايا التي فيها خطر عليه، وتعميق روح الشك في الآخر بين الفرقاء في بارانويا سياسية، وتقوية الانتماءات والولاءات للأحزاب والعشائر ودول خارجية على حساب الانتماء للمواطنة والولاء للوطن

سيكولوجيا الازمة تحكّمت بالسياسيين العراقيين أكثر من قدرتهم على التحكّم بها

ان التفكير يعتاد على استحضار الخلافات بما يزيد المسافة التفاهمية بعدا،وبرمجة العقل على آلية «العناد العصابي» بالاصرار على البقاء بالمواقف، فيما يتطلب حلّ الازمة مرونة التحرّك التي لم تحصل مع انها أخذت اكثر من وقتها

تعيش حالة بذخ وترف خرافي مع ان ربع الشعب يعيش تحت خط الفقر..وهنالك تقارير تستند الى جريدة الوقائع العراقية يستنتج منها ان ما يتقاضاه خمسة اشخاص من هذه الرئاسات في سنة يكفي لأعمار مدينة الحلة لتكون بابل الحضارة!.

وثمة حالة خطيرة هي ظهور «اللاعب الوحيد» في فرقاء العملية السياسية. ومشكلة اللاعب الوحيد أنه يجمع كلّ خيوط «اللعبة» بيده، ويركّز وفريقه على مسائل الاختلاف مع الفرقاء، ويغلّب مصلحة فريقه على مصالح الوطن، وأن سيكولوجية السلطة في العراق علّمت المحيطين باللاعب الوحيد أن يقولوا له ما يحب أن يسمعه!..فضلا عن ان الكتل المتنفذة في الحكومة اعتمدت على اهل الثقة وأهل الطاعة وليس على اهل الخبرة وأهل الكفاءة،وهؤلاء يتوزعون بين من "يستأنس" على ديمومة الأزمة وبين من تضطره الطاعة أن يكبت أية فكرة تسهم في تخفيف أزمة.

ان السياسة والصراع في متلازمة أزلية لأنها متعلقة بتنافس على سلطة وثروة واعتبار اجتماعي وغالب ومغلوب.والمشكلة ليست في الصراع بل في أساليب التعامل معه. فمن مفاهيمنا الخاطئة التي صنعتها الأزمات اننا ما أن نسمع كلمة (الصراع) فان ذهننا يبادر لأستحضار صور العراك والعنف والخصومة الدائمة..مع أنه يؤدي احيانا الى حالة ايجابية. غير ان تاريخنا السياسي الذي كتبته الحروب والعنف الاجتماعي ، صاغ تفكيرنا بطريقة صرنا نفهم فيها الصراع على أنه حالة بين ان تكون او لا تكون..بين أن تبقى أو تفنى!.

وسواء كان الصراع سياسيا" أو اقتصاديا" أو اجتماعيا" فأن حلّه يتوقف على طبيعة ادراكنا له ،الناجمة عن نوعية منظورنا الفكري ونضجنا السياسي. فالطرف الذي يتحكم به منظور ان الصراع يعني وجوب التغلب على الآخر والانتصار عليه باية طريقة كانت، يجبره على أن يتعامل مع الطرف الآخر بأسلوب حذر وتأويلي..بمعنى أنه يفسّر أقوال وافعال الطرف الآخر بأن فيها (انّ) حتى لو كانت بنوايا طيبة،فينجم عنه اثارة مشاعر سلبية يفضي تراكمها الى كره متبادل بين اطراف الصراع..فيما المنظور الصحيح هو ان الصراع يمكن ان يكون عاملا مساعدا ومصدر طاقة يمنحنا الفرصة لتعميق علاقاتنا ويجعل اطرافه اصدقاء لا اعداء ويمنح الجميع المتعة والبهجة.

والشائع عندنا،لاسيما في حياتنا السياسية،أننا نساوي بين الصراع والأحباط،الذي يمثل حالة نفسية تنطوي على تعبيرات انفعالية سلبية وسلوكية عدوانية ، تنشأ عند مواجهة هواجس تعيق تحديد

وهنالك تقارير تستند الى جريدة الوقائع العراقية يستنتج منها ان ما يتقاضاه خمسة اشخاص من هذه الرئاسات في سنة يكفي لأعمار مدينة الحلة لتكون بابل الحضارة!.

وأن سيكولوجية السلطة في العراق علّمت المحيطين باللاعب الوحيد أن يقولوا له ما يحب أن يسمعه!..فضلا عن ان الكتل المتنفذة في الحكومة اعتمدت على اهل الثقة وأهل الطاعة وليس على اهل الخبرة وأهل الكفاءة،

ان تاريخنا السياسي الذي كتبته الحروب والعنف الاجتماعي ، صاغ تفكيرنا بطريقة صرنا نفهم فيها الصراع على أنه حالة بين ان تكون او لا تكون..بين أن تبقى أو تفنى!.

فيما المنظور الصحيح هو ان الصراع يمكن ان يكون عاملا

الاهداف المنشودة،الأمرالذي نجم عنه (عندنا) أن كلّ طرف صار ينظر الى الطرف الآخر بوصفه عقبة تحول دون تحقيق مصالحه..دون أن يدرك أن هذا يفضي نفسيا الى أن تتكاثف مظاهر السلوك العدواني مصحوبة بزيادة حدّة الاحساس بالاحباط، توصله لنتيجة كارثية هي (يقينه)أن الصراع يستلزم نجاح احد الطرفين والحاق الاذى بالطرف الآخر..وهذا أحد أهم أسباب أزماتنا التي ستبقى مستعصية على حلّ عقلاني ما لم نغير أساليب تعاملنا الخاطئة مع الصراع.

ومع تعدد مساعي سياسيين مخلصين ووجوه اجتماعية لاحتواء الأزمة فان الخلاص من المحنة الحالية يستوجب عمليتين سيكلوجيتين:

الأولى:ان يتخلص الفرقاء من البرنويا السياسية التي تنتعش في أوقات الأزمات بتغذية راجعة بين قائد سياسي يذكيها وجماهير تتحكم بها عقدة الثأر الجاهلي،

والثانية: ان يغادر (أنا) القادة السياسيين مفهوم (البطل) بالصيغة المشفّرة في العقل الجمعي العراقي: (الزعيم الأوحد)،(القائد الضرورة)،(القائد الرمز...) التي تفعّل حاجة الجماهير المأزومة الى (بطل) تصنع منه دكتاتورا!.

ومن عجائب الأمور أن أزمة حدثت في العراق عام 1929 نظم فيها الجواهري قائلا:

(ستبقى طويلا هذه الأزمات اذا لم تقصّر عمرها الصدمات

اذا لم ينلها مصلحون بواسل جـــــريئون فيما يدّعون كفاة

ألم تر أنّ الشعب جلّ حقوقه هي اليوم للأفراد ممتلكات؟

ومن عجب أنّ الذين تكفّلوا بانقاذ أهليه هم العثرات!!).

ياسلام..ما أشبه الليلة بما قبل ثمانين سنة!..ترى هل هي علّة فينا نحن العراقيين؟!

*اكاديمي وكاتب

مساعدا ومصدر طاقة يمنحنا الفرصة لتعميق علاقاتنا ويجعل اطرافه اصدقاء لا اعداء ويمنح الجميع المتعة والبهجة.

ان يتخلص الفرقاء من البرنويا السياسية التي تنتعش في أوقات الأزمات بتغذية راجعة بين قائد سياسي يذكيها وجماهير تتحكم بها عقدة الثأر الجاهلي

ان يغادر (أنا) القادة السياسيين مفهوم (البطل) بالصيغة المشفّرة في العقل الجمعي العراقي: (الزعيم الأوحد)،(القائد الضرورة)،(القائد الرمز...) التي تفعّل حاجة الجماهير المأزومة الى (بطل) تصنع منه دكتاتورا!.

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

**** ****

الدعم السنوي لـ" شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون اكاديمي بيعربي رقيا بالعلوم النفسية و خدماتها

www.arabpsynet.com/documents/DocOctoberApnMonth.pdf

**** ****

2012/06/13 - 2002/06/13

" الشبكة تدخل عامها العاشر..حصاد تسع سنوات"

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyApn9YearsAgo.pdf

**** ****

الشبكـــــة: الاشتراك و الخدمات و خيارات الدعم المتاحة

www.arabpsynet.com/Documents/ApnSubscription.pdf

" واقـــع و مستقبـــل "شبكـــة العلـــوم النفسيـــة العربيـــة "

www.arabpsynet.com/Documents/DocTurkyCallDialogueAboutAPN.pdf

*** ***

دعـــوة للعضويـــة

" لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي العربإسلامي"

www.arabpsynet.com/documents/DocComSt&ResArIslamicPsy.pdf

ترسل الطلبات مصحوبة بالسيرة العلمية على البريد التالي

arabpsynet@gmail.com

*** ***

الكتـاب الذهبـي للشبكـــة

للأطباء النفسانيين

http://www.arabpsynet.com/propsitions/ConsPsyGoldBook.asp

لأساتذة و اخصائيي العلوم النفسية

http://www.arabpsynet.com/propsitions/ConsGoldBook.asp

شارك برأيك لتطوير الموقع

form / نمـــوذج / formulaire

http://www.arabpsynet.com/propsitions/PropForm.htm

*** ***

بريـد مراسـلات الشبكـــة

http://www.arabpsynet.com/mailinglist/ConsMailingList.asp

أرسل بريدك

form / نمـــوذج / formulaire

http://www.arabpsynet.com/mailinglist/MailingListForm.htm